الدين والمجتمع: مقاربة لايميل دوركايم

د. دلال جابري: جامعة: محمد الشريف مساعدية -سوق أهراس

الملخص:

علم قائم بذاته لدراسة المجتمع و تفسير ظواهره من وجهة نظر اجتماعية، مقولة نادى بها علماء الاجتماع، من بينهم ايميل دوركايم, والذي يعتبر من مؤسسي هذا العلم –علم الاجتماع- أسهم و بشكل كبير في إرساء دعائمه كمجال العلمي قائم بذاته , و ذلك من الناحية المنهجية و المفاهيمية.

من خلال أعماله , ناقش ايميل دوركايم العديد من القضايا كتقسيم العمل, الانتحار و دراسته للدين, أين قدم منظومة من الأفكار و المفاهيم حاول من خلالها توضيح العلاقة بين الدين و المجتمع.

وفي عملنا هذا نحاول التعرض لأهم إسهامات ايميل دوركايم حول ظاهرة الدين من خلال النقاط التالية:

1. الدين: قراءة في المفهوم.
2. الدين: سياقات تاريخية وفكرية.
3. أهم إسهامات دوركايم في علم الاجتماع.
4. الدين والمجتمع عند دوركايم.

الكلمات المفتاحية بالعربي: الدين , الظاهرة الدينية , الطوطم , المقدس.

Abstract :

A science for the study of society and the interpretation of its phenomena ; from a social point of view, a saying advocated by sociologists, among them Emil Durkheim, who is considered one of the founders of this science - sociology - contributed greatly to laying its foundations as a stand-alone scientific field, and that from Methodological and conceptual.

Through his works, Emil Durkheim discussed many issues such as the division of labor, suicide and his study of religion, where he presented a set of ideas and concepts through which he tried to clarify the relationship between religion and society.

In our work, we try to address the most important contributions of Email Durkheim on the phenomenon of religion through the following points :

1. Religion: A reading in understanding.

2. Religion : Historical and intellectual contexts.

3. Durkheim's most important contributions to sociology.

4 . Religion and society at Durkheim.

Keywords : religion, religious phenomenon, totem, sacred.

مقدمة

منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض , ابتكر طرقا مختلفة للتعبير عن ولائه لتلك القوة الخارقة التي تستجيب لرغبته الدائمة في الاحتماء و طلب العون و المساعدة و الشكر, كما كانت له طرق و طقوس و رموز خاصة قدسها و أحاطها بكل معاني الإحاطة و الحماية و التحريم فكانت على سبيل المثال زهرة اللوتس في الديانة الهندوسية رمز للوجود الأول الذي نور الكون و رمزا يتجلى فيه السلطان الالاهي و عرش الكون, محملة بكل معاني الخير و النقاء و الجمال الخصوبة و الخلق و الانبعاث و تجدد الطبيعة [1], و غيرها من الرموز كثير , و التي شكلت منظومة من الممارسات و المعتقدات , تختلف من جماعة إلى أخرى , منتجة ما يعرف بالدين .

و منه كان الدين من المواضيع التي أثارت اهتماما كبيرا لدى المفكرين , و جدلا واسعا بين الفلاسفة عبر العصور, و منذ الحضارات القديمة حتى عصرنا الحديث , و في عملنا هذا نحاول أن نسلط الضوء على هذا المفهوم بمشتقاته اللغوية و اختلاف معانيه الاصطلاحية , و ما قدمه جملة من المفكرين و الفلاسفة كرؤى مختلفة لهذا المفهوم, و الذي اتخذ معان كثيرة اختلفت باختلاف السياقات التاريخية,

ايميل دوركايم من المفكرين الذين أولو أهمية كبيرة للدين في دراساته حول المجتمع , و كان بعدا مهما في تحليلاته و ذلك ما نحاول إبرازه في عملنا هذا .

1. **الدين: قراءة في المفهوم.**

بالبحث في الأدبيات التي تناولت مفهوم الدين بالتعريف وجدنا انه لا يوجد هناك اتفاق حول صياغة تعريف شامل وجامع لمفهوم الدين بل وجدنا ان هناك اختلافات كثيرة في هذه النقطة سواء تعلق الأمر بالتعريف اللغوي أو الاصطلاحي.

بالرجوع إلى الاشتقاق اللغوي للكلمة نجد أنها تتضمن ثلاث أفعال في كل حالة يختلف المقصد من الفعل من دان بدينه ودان له[2] ودان به.[3]

إذا قلنا دان له: يعني أطاعه وخضع له، فالدين هو الخضوع والطاعة، والعبادة والورع، ودان به أي اتخذه دينا ومذهبا، أي اعتقده واعتاده أو تخلق به، فالدين على هذه الطريقة والمذهب الذي يسير عليه الفرد.

وكلمة الدين عند العرب تعني العلاقة بين طرفين يعظم أحدهم الآخر يخضع له خضوعا وانقيادا.[4]

كما له معان أخرى فالدين في اللغة: العادة والحال والسيرة والسياسة والرأي والحكم والطاعة والجزاء ومنه مالك يوم الدين وكما تدين تدان.

---

[1] عبد الله عوض العجمي: فلسفة الرموز في الاديان الشرقية التقليدية، دراسة تحليلية .مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية. العدد 1.مجلد13. جوان 2016. ص 278.

[2] عزمي بشارة: الدين والعلمانية في سياق تاريخي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان. ص 1 . 2013: ص308 .

[3] محمد عبد الله دراز: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان. دار القلم. الكويت. ص 30.

[4] نفس المرجع: ص 31.

ويطلق الدين عند فلاسفتنا القدماء على وضع الهي يسوق ذوي العقول إلى الخير، والفرق بين الدين و الملة و المذهب ,فمن حيث أنها مطاعة تسمى دينا, و من حيث أنها جماعة تسمى مذهبا، و قيل: الفرق بين الدين والملة أن الدين منسوب إلى الله تعالي و الملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد وكثيرا ما تستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان البعض، ولهذا قيل أنها أيضا على الشريعة، وهي السنة، أي ما شرعه الله لعباده من السنن والأحكام.

والدين الجميل من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس نتيجة حبها لله وعبادتها إياه وطاعتها أوامره.

والدين أيضا هو إيمان بالقيم المطلقة والعمل بها كالإيمان بالعلم أو الإيمان بالتقدم أو الإيمان بالجمال والإيمان بالإنسانية، ففضل المؤمن بهذه القيم كفضل على الأخر إلا بما يتصف به من مجرد حب وٍ إخلاص وٍ إنكار للذات.[5]

كما يعني ايضا: مؤسسة اجتماعية متميزة بوجود ألاف من الأفراد المتجددين بأداء بعض العبادات المنظمة وباعتماد بعض الصيغ بالاعتقاد في القيمة المطلقة، لا يمكن وضع شيء أخر في كفة ميزانها وهو اعتقاد تهدف الجماعة إلى حفظه وينظر إليها إما كقوة روحية أرفع من الإنسان او ينظر إليها كقوة منتشرة وإما كثيرة وإما وحيدة هي الله.[6]

الدين اصطلاحا: وردت العديد من التعريفات المختلفة للدين فكان لكل مفكر أو فيلسوف تصوره الخاص في تركيب وبناء تعريف خاص بالدين.

روبرت سبنسر يعرفه بأنه: الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية والمكانية وهو العنصر الرئيسي في الدين.[7]

ماكس ميللر: الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره و التعبير عما لا يمكن التعبير عنه , هو التطلع اللانهائي هو حب لله .[8]

ايميل دوركايم يعرفه بأنه: مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة (المعزولة والمحرمة) اعتقادات وأعمال تضم إتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة.[9]

كما كان للدين تعريفات مختلفة كانت هناك توجهات نظرية أيضا اجتهد روادها في إعطاء تحليلات وتفسيرات مختلفة للدين.

النظريات المفسرة للدين

الاتجاه الطبيعي:

يري أصحاب هذا الاتجاه أن التناسق و الانتظام الذي يميز الكون يعود إلى قوة قاهرة مستقلة , و يرى ماكس موللر أن الإنسان قد تدين منذ أوائل عهده لأنه أحس بروعة المجهول , و جلال الأزلية الكونية التي ليس لها انتهاء, و يذهب موللر إلى أن الدين هو اللغة التي يعبر بها الإنسان عن هذا الإحساس الغامض الذي يأتيه عن طريق الحواس, و

---

[5] جميل صليبا: المعجم الفلسفي. دار الكتاب اللبناني ,بيروت .ج1 .ص 56 – 57 .

[6] اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية. منشورات عويدات ,لبنان . AG . ط2. 2001. ص 1206.

[7] محمد عبد الله دراز: مرجع سابق. ص 32

[8] محمد عبد الله دراز: نفس المرجع. ص 33

[9] محمد عبد الله دراز: نفس المرجع. ص 34

الشعور الديني يعترف بوجود عدة آلهة و لكن سرعان ما يهتدي إلى الأبد الأعلى و الأقوى , فتستغرق صفاته العليا كل صفاته الآلهة الكثيرة.[10]

الاتجاه الروحي:

ينسب هذا للاتجاه إلى تايلور و سبنسر, و قد ذهبا إلى أن أقدم دين في الوجود هو الاعتقاد بوجود الأرواح و عبادتها , و أولها الآلهة عند الأسلاف و هذا في اعتقاد تايلور بان الإنسان البدائي في الحياة المزدوجة بين اليقضة و النوم , اكتشف أن هناك كائن آخر غير الجسم يستطيع في ظروف معينة أن يترك الجسم و يبتعد عنه , فاعتقد وان النفس قوة عجيبة تستطيع الاتصال بالأجسام و تؤثر عليها بالضر و النفع , و لا يستطيع الإنسان الاتصال بها إلا بمراعاة الطقوس التي تلائمها و الموت هو أولى مراحل تحول الروح إلى مقدسة و منه كانت أولى عبادات الإنسان هي عبادة الموتى من نفوس الأسلاف, أي أن عبادة الأسلاف هي العقيدة الأولى التي ظهرت على الوجود .

المذهب الاجتماعي:

ويقول أصحاب هذا الاتجاه بجمعية الدين الذين تمثلهم المدرسة الفرنسية الاجتماعية في أواخر القرن 20 أين رأوا أن فكرة العقل الجمعي هي رمز الدين.

وأبرز أصحاب هذا الاتجاه دوركايم الذي اعتبر الطوطمية أقدم ديانة على الإطلاق والطوطم عبارة عن رمز تتخذه العشيرة شعارا لوحدتها وقوتها وتعتقد انه جدها الأعلى ومنه تناسلت فقدست العشيرة هذا الطوطم.

وقد يكون الطوطم جمادا أو نباتا أو حيوانا، وسنفصل في ذلك لاحقا.[11]

الاتجاه التعليمي أو مذهب الوحي:

يرى هذا المذهب بان الأديان لم يسر إليها الإنسان , بل سارت إليه و لم يصعد إليها بل نزلت إليه , و الناس لم يعرفوا ربهم بنور العقل بل بنور الوحي , هذه النظرية التي أيدها العديد من علماء التاريخ و رجال الدين و كذلك في الكتب السماوية التي تقر بال الله سبحانه و تعالى خلق الإنسان و كرمه و علمه حقائق الأشياء.

هذا الاتجاه يرى أن الوصول إلى العقيدة الإلهية لا يحتاج إلى التأمل في الطبيعة وجمالها ولا في التقلبات الكونية وظواهرها، ولا حتى بالبحث في عالم الأرواح، بل تجارب الإنسان النفسية في حياته العادية المألوفة كافية بتوجيه نظره إلى تلك الحقائق العليا.[12]

الدين سياقات فكرية وتاريخية:

الحضارة اليونانية

أفلاطون:

أفلاطون من الفلاسفة اليونان الذين درسوا فكرة الله، من خلال أفكاره نجده بأنه أدرك الألوهية وأعترف بوجود الله لهذا الكون، ويقرر أن الحركات في الكون سبعة، و هي حركة دائرية ومن اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين، ومن الأمام إلى الخلف، ومن الخلف إلى الأمام، ومن الأعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى، وحركة العالم دائرية منظمة لا يستطيعها العالم القيام بها بذاته فهي معلولة، العلة عاقلة وهذه العلة هي الله ومن جهة , كما يصف الاله بالوحدة و الوجود المنفرد عن كل من

[10] بن عبد المولى نصيرة: الطقوس البدائية وعلاقتها بالممارسات الدينية المعاصرة –زيارة الأضرحة في الجزائر نموذجا. ماجيستير في الفلسفة. جامعة وهران .2012-2013. ص 22.

[11] محمد عبد الله الدراز: مرجع سابق. ص 150.

[12] محمد عبد الله الدراز: مرجع سابق. ص 164.

سواه، وبما استحق به أن يكون فوق قمة الموجودات, وان يكون مدبرها وصانعها، ومن صفات الله عند أفلاطون ثلاث صفات هي أن الله روح، عاقل، محرك، منظم جميل، خير عادل كامل بسيط لا تنوع فيه، ثابت لا يتغير صادق لا يكذب لا يخضع لا للزمان و لا للمكان و يكون وحده في حاضر مستمر.[13]

أرسطو:

يعتبر أرسطو أن الله ثابت و لا يتحرك فهو العلة الأولى أو المحرك الأول الذي لا يتحرك و لا يتأثر لا بعامل الزمان ولا المكان، و لابد لهذه المتحركات من محرك يقوم عليها ,و وجود الأجسام المتحركة دليل قاطع على وجود محرك, ينهي العقل إلى محرك بذاته أو محرك لا يتحرك ،لأن العقل لا يقبل التسلسل في الماضي إلى غير نهاية .

والحركة والزمان أزليان أبديان والحركة عرض والجوهر والزمان مقياس الحركة، وبالتالي توجد جواهر دائمة غير متحركة.[14]

في العصور الوسطى: ونذكر من أمثلة من كتبوا في هذه الفترة كل من:

القديس أوغسطين

يعتبر القديس أوغسطين من أهم الفلاسفة اللاهوتيين المسيحيين تعددت أفكاره في هذه الحقبة وأثرت في مختلف مراحل التاريخ الفكري المسيحي ، قبل و بعد التنوير من خلال تجربته الدينية الفريدة التى تقلب فيها من المانوية إلى المسيحية، أما في ما يخص موضوع الفطرة والقانون الطبيعي نجده في هذه الدراسة يظهر مدى عمق الإحساس بالقانون الطبيعي في جوانبه المختلفة على مستوي الإنسان والمجتمع والطبيعة، والذي يصل إلى العناية الإلهية ودورها في حركة الوجود يعتبر أوغسطين أن الله خالق الطبيعة ومبدعها ونحن نعبد هذا الإله الذي يرسم إلى الطبيعة أصولها وهو خالقها ومبدعها وغاية حركتها ومداها في الزمن.[15]

سيبنوزا

تقوم فلسفة الدين عند سبينوزا على عناصر مهمة و هي النبوة أو الوحي والأنبياء،كما درس القانون الإلهي إضافة إلى المعجزات.

فصل في كل واحدة منها على حدى، فيبدأ بالنبوة أو الوحي حيث تعتبر بمثابة المعرفة اليقينية التي يوحى بها الله إلى البشر، و يعتبر النبي هو مفسر ما يوحي به الله لأمثاله من الناس، إذ يعتبر أن النبوة تتطابق تماما مع المعرفة الفطرية، لأن ما نعرفه بالنور الفطري يعتمد على معرفة الله وحدها وعلى أوامره الأزلية.

الإنسان دائم البحث عن معارف خارقة وهو مولع بالنوادر والخوارق وهذا ما يجعله يحتقر المعرفة الفطرية ويعتبرها بسيطة تتطابق مع المعرفة النسبية، في حين أن المعرفة الفطرية حق في أن تسمى معرفة إلهية لأنها أثر من أثأر الطبيعة الإلهية ومن أثار الأوامر الإلهية، لهذا فإن المعرفة الفطرية هي معرفة إلهية بمعنى الكلمة، هذا ما يجعلنا نسمى الذين يقومون بإنشائها أنبياء البشر يستطيعون استيعاب تعاليمها دون الاعتماد على الإيمان وحده.[16]

ابن خلدون:

---

[13] عزمي بشارة: مرجع سابق، ص 236.

[14] عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. 1984. ط1. ص 109.

[15] القديس اوعستين: مدينة الله. ت يوحنا الحلو. دار دمشق. بيروت. 2007. 174 .

[16] باروخ سبينوزا: رسالة اللاهوت والسياسة. ت حسن حنفي. دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع. 2005 . ط1. ص 119.

يربط ابن خلدون الدين بمفهوم مهم في كتاباته وهو مفهوم العصبية وجعلهما أساس للتجمع الإنساني فلولا الدين والعصبية لما كان لنا تجمع إنساني سليم، يختلف ويتميز عن الحيوانات حيث يقول: ينقل عن الكثير من السودان

أهل الإقليم الأول أنهم يسكنون الكهوف والفياض ويأكلون العشب وأنهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضا والسبب في ذلك...أنهم لا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم وجميع أحوالهم بعيدة عن أحوال الأناس اقربهم إلى أحوال البهائم.

حيث اعتبره ابن خلدون عاملا مهما في سير التاريخ حيث يفترض وجود عناية إلهية تتحكم في القوانين التي تخضع لها الظواهر المختلفة وهذا لا يتعارض مع اعترافه بوجود قوانين تحكم حركة التاريخ من عوامل اجتماعية واقتصادية وطبيعية وقوانين تاريخية (وعناية إلهية).

ويؤكد أن صلة الله بالعالم الإنساني ظاهرة في كل زمان ومكان، ويفسر أن الانتصارات التي حققها المسلمون في التاريخ ترجع بالدرجة الأولى إلى الدين.[17]

اوغست كونت:

تنطلق فلسفة كونت الوضعية من ضرورة التعامل مع الظواهر أيا كانت مثل التعامل مع الأشياء وهي دعوة للباحثين إلي تبني المدخل الوضعي، وذلك بغية الوصول إلى قوانين امبريقية مفسرة للمجتمع وظواهره.

وهذه القوانين شقين منها قوانين الاستقرار الاجتماعي والتغير الاجتماعي، وكل هذه المبادئ ترجمها كونت في قانونه المراحل الثلاث، الذي يفسر مراحل تطور الفكر البشري.

ففي المرحلة الأولى من هذا القانون يتوجه الفكر إلى تفسير الظواهر تفسيرا لاهوتيا ثم ينتقل إلى المرحلة الثانية أين يتم تفسير الظواهر تفسيرا ميتافيزيقيا مجردا ثم تأتي المرحلة الثالثة أين يكون العلم والوضعية أساس الفكر الإنساني أين يحتكم إلى القوانين في عملية التفسير.

فكانت هذه المراحل متتابعة وتصحح أحداها الأخرى.[18]

ساهم كونت في تحديد معالم الوضعية ولم يقدم تفسيرا سوسيولوجيا للدين بل يذهب العديد من المفكرين إلى على غرار نيسبيت الذي يرى أن كونت قدم الوضعية كدين جديد يحل محل الاعتقادات المجودة.

هربرت سبنسر:

سبنسر في دراسته لانتقال الجماعات من الحالة المتجانسة إلى الحالة اللامتجانسة أسس لنظريته المبدأ الحيوي ويعني هذا المبدأ عبادة كثير من الأرواح والقوى المقدسة بين البدائيين في مرحلة تعدد الآلهة والتي نجدها في الحضارات القديمة، وفي هذا المجال تكلم سبنسر هن ثلاث موضوعات رئيسية: عمومية الطوطمية وتمثل أكثر الأشكال للدين.

والثاني العلاقة بين الدين والسحر والثالث النظرية الحيوية كموضوع للبحث أي الاعتقاد باللاشخصية المقدسة إلى الأرواح المجسمة.

أشار سبنسر إلى جملة من الظواهر مثل الموت و الأحلام و النوم و أعطاها تفسيرا انطلاقا من علاقة الروح بالجسد، فالموت هو مغادرة الروح للجسد إلى مكان آخر و هو انفصال دائم في حين النوم هو انفصال مؤقت , و الظواهر

[17] سامية مصطفى الخشاب: علم الاجتماع الإسلامي. دار المعارف. 1981. ص 23.

[18] محمد احمد بيومي: علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الاسلامي. دار المعرفة الجامعية. 2002 . ص 129.

الغير إنسانية مثل الشمس و المطر و العواصف و غيرها , لها أرواح محركة خاصة بها , فالاعتقاد الديني الأول للإنسان هو الأرواح المشخصة و ليس القوى الغير مشخصة فالروح هي التي تعطي الحياة.

ماكس فيبر:

اهتم فيبر بدراسة العلاقة بين الدين والاقتصاد وكان يرمي من وراء ذلك إلى كشف العلاقة بين الظاهرتين هل الظاهرة الاقتصادية تؤثر في الظاهرة الدينية أم العكس الظاهرة الدينية هي التي تؤثر في الظاهرة الاقتصادية. أم هي علاقة تأثير متبادل، وما توصل إليه فيبر كان يرجح الخيار الثالث أي انه هناك تأثير متبادل.

اهتم فيبر بدراسة الأخلاقيات الاقتصادية الدينية في ست ديانات عالمية: الكونفوشيوسية والهندوسية والبوذية والمسحية والإسلام ثم درس طبيعة الأخلاقيات الاقتصادية فيها وآثارها على التنظيم الاقتصادي والحياة الاجتماعية للشعوب.[19]

كما حلل الحالة بين الرأسمالية الحديثة والعقيدة البروتستانتية حيث توصل إلى الرأسمالية كنظام اقتصادي نشأت من خلال العقيدة البروتستانتية وأخلاقياتها الاقتصادية تنطلق نظريته من فكرة أن الظواهر الدينية تابعة للظواهر الاقتصادية، ومثال ذلك تفسيره لنشأة الإسلام والذي يرى انه مرتبط بتحول الحياة بمكة من حياة الرحال والرعي إلى حياة التجارة، [20]

ماركس

اهتم ماركس بالدور الذي يلعبه الدين في المجتمع الذي تتمايز فيه الطبقات وكيف يسهم في إخماد الوعي ونمو الوعي الطبقي بين الأفراد المستغلة ولخص أفكاره عن الدين في مقولته: الدين هو أنين الكائن المضطهد، وقلب العالم عديم الرحمة وحس الظروف القاسية انه أفيون الشعوب.

حيث ان الدين خداع مقصود الهدف منه السيطرة و هو ظاهرة ناجمة عن اغتراب الإنسان عن جوهره , كما اعتبره إيديولوجيا تهدف إلى السيطرة على الناس البسطاء بواسطة الخرافات .[21]

الدين عند هيجل

كانت له ثلاثة تقسيمات للدين:

الديانة الطبيعية

إن الديانة الطبيعية عادة تستخدم للتعبير عن الدلالة عن الدين الذي يقال عنه بأن العقل وحده قادر على أن يقود الإنسان إليه دون مساعدة من الوحي، وليس لاستخدام هيجل أيه علاقة بهذا المعنى على الإطلاق ويضع الديانات التي تستطيع فيها الروح السيطرة على بعد الطبيعة تحت عنوان الديانة الطبيعية.

الديانة المباشرة أو السحر

تفرض بالضرورة الفكرة المتطورة للدين الفصل بين العقل الكلي وهو الله، و بين العقل الجزئي وهو الإنسان قائم بالفعل و يشعر به الوعي، وهدف جميع الديانات التوفيق بين الله و الإنسان أو عبور الانفصال بينهما، حيث لا يوجد هذا الانفصال على نحو واضح.

---

[19] عزمي بشارة. مرجع سابق. ص 290.

[20] عزمي بشارة: مرجع سابق. ص 280.

[21] عزمي بشارة: مرجع سابق ص 279.

الإنسان لاستطيع أن يميز نفسه عن الطبيعة فهو ليس سوى ذرة كغيرة من الذرات الأخرى وسط عملاء من الأشياء الجزئية و الروح هي القوة الدافعة للتطور الروحي كله والتي تكمن في خلق الأشياء لتشق طريقها ,

هذا الأنا الجزئي أسمى من الحجارة ومن الصخور ومن السحاب له الفلتة والسيطرة وهو آمر السحب والعواصف والمياه فتطيع فهذا هو السحر.

الديانة الجوهرية:

الوجود الجوهري الذي يخرج من كل ألوان الوجود المتناهي بوصفها تحولات جوهرية وعابرة له، ثم يعود و يجعلها تنفي فيه, وهذا الوجود هو الجوهر و هذه التحولات هي أعراضه , و السمات الجوهرية للدين في هذه المرحلة هي أن تتصور أن الله هو الجوهر، وهنا يظهر بأن هذا الدين يعبر عن مذهب وحدة الوجود مذهب الألوهية الشاملة .[22]

بعد تعرضنا لمفهوم الدين لغويا واصطلاحيا وعرضنا لأهم آراء المفكرين والفلاسفة نأتي إلى المرحلة الثانية من العمل أين نقدم ملخصا لإسهامات ايميل دوركايم في مجال علم الاجتماع.

3. أهم إسهامات دوركايم في علم الاجتماع.

أميل دوركهايم 1858 – 1917

من العلماء الذين اقترنت أسماؤهم بنشأة علم الاجتماع. شكل نقطة تحول هامة في تاريخ التفكير الاجتماعي ونظرية علم الاجتماع فلقد تجنب كثيراً من المشكلات التي أثارها علماء الاجتماع التطوريون في القرن التاسع عشر وجعل اهتمامه منصبا على تحديد موضوع علم الاجتماع.

برزت نزعته الوظيفية بشكل واضح من خلال كتاباته حول نظام تقسيم العمل، وما له من علاقة متينة بظاهرة التضامن الاجتماعي والشعور الجمعي , و هو بذلك يعد الأب الروحي للمدرسة الوظيفية في علم الاجتماع من خلال إطلاقه صفة العضوية على التضامن الاجتماعي في المجتمعات الحديثة , كما كانت له أعمال أخرى كثيرة نعرضها باختصار فيما سياتي.

من أهم ما قدم دوركايم لعلم الاجتماع:

تعريف علم الاجتماع:

علم الاجتماع عند دوركهايم: هو العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية، وقد حدد منهج علم الاجتماع باعتماد التجربة غير المباشرة أو المنهج المقارن حيث يعتقد أن علم الاجتماع علم مقارن لا يكتفي بمجرد الوصف وإنما المقارنة.

وأكد على طريقة التلازم والتغيير , أي هناك ترابط في متغيرين والتغيير في أحداها يؤثر على المتغير الأخر أي وجود علاقة سببية. وكذلك أشار إلى المنهج الوظيفي وهو الكشف عن الكيفية التي يسهم بها نظام معين أو ظاهرة اجتماعية في تحقيق استمرار الكيان الاجتماعي.

وبين بعض القواعد التي يجب على عالم الاجتماع إتباعها عند دراسته للظاهرة:

- التخلي عن التصورات المسبقة عند ملاحظة الظاهرة الاجتماعية.
- تحديد موضوع كل بحث في علم الاجتماع.
- دراسة الظواهر الاجتماعية بصورة مستقلة عن مظاهرها الفردية.
- إن المجتمع أكثر من مجموعة الأفراد.[23]

[22] هيجل: فلسفة الروح. ت امام عبد الفتاح. دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت .2005. ط 3. ص 179.

[23] يونس الوكيلي وآخرون: الدين والمجتمع ونظرية المعرفة، قراءة معاصرة في أعمال ايميل دوركايم، الرباط. ص 67 .

تعريف الظاهرة الاجتماعية:

عرفها بأنها: أنماط من السلوك وضروبا من التفكير والشعور تتميز بأنها خارجة عن الفرد كما تتمتع بقوة وقهر.

وحدد صفاتها بالآتي:

موضوعية: أي لها وجودا خاصا خارج شعور الفرد لأنها ليست من صنعه بل يتلقاها من المجتمع الذي نشأت به.

إلزامية وقهرية: أي انها تفرض نفسها على شعوره وسلوكه والفرد لا يشعر في كثير من الأحيان بهذا القهر.

إنسانية: وما يميز الظاهرة الاجتماعية بأنها إنسانية أي تنشأ بنشأة المجتمع وبهذه الصفة تتميز عن الظواهر التي تدرسها العلوم الطبيعية كالفلك والرياضيات ... الخ.

تلقائية: أي إنها ليست من صنع فرد أو أفراد وإنما هي من صنع المجتمع [24].

عامة: أوضح دوركهايم عمومية الظاهرة فقال إن العموم أحدث نتائج القهر فهي تصبح عامة لأنها تفرض نفسها على الأفراد داخل المجتمع.

ظاهرة تقسيم العمل والتضامن الاجتماعي:

من خلال كتابه تقسيم العمل تناول نظام تقسيم العمل وما له من علاقة متينة بظاهرة التضامن الاجتماعي والشعور الجمعي، حيث وجد سيادة نظام تقسيم العمل في جميع المجتمعات إلا انه يختلف من مجتمع لآخر.

ويقسم المجتمعات إلى شكلين على أساس التضامن السائد فيها:

تضامن آلي: يسود في المجتمعات القديمة، هنا تماثل بين أعضاء المجتمع، تسود قوة الضمير الجمعي والمقصود به المجموع الكلي للمعتقدات والعواطف العامة وهذا هو ضمير المجتمع الذي يختلف عن ضمير الفرد.

تضامن عضوي: هو النتيجة الحتمية لظاهرة تقسيم العمل، ويسود فيه المجتمعات الأكثر تطورا، ويقوم على أساس التباين، تقل هنا فعالية الضمير الجمعي يظهر دور القانون ويسود التعاقد.[25]

الانتحار:

في دراسته الانتحار 1897 عرض نظريته في القهر الاجتماعي وعلاقته بالتضامن الاجتماعي، وتؤكد هذه الدراسة على دور النظرية السوسيولوجية في العلم الامبيريقي وهي تمثل دراسة إحصائية كان يهدف من ورائها نقد النظريات التي فسرت الانتحار على أسس سايكولوجية وعرضية، ودعم تفسيراته النظرية السوسيولجية بشواهد امبيريقية واقعية.

وبين أسباب الانتحار إلى الاختلاف والتضامن الاجتماعي:

- الانتحار الأناني: يسود بسبب ضعف تكامل الجماعة ويسود بين الجماعات التي تقل فيها قوة الروابط الاجتماعية.
- الانتحار اللامعياري : يرجع إلى فقدان المعايير فأنهيار المعايير ينتج عن التغييرات الهائلة التي تميز المجتمع الحديث .
- الانتحار الغيري أو الايثاري: الذي ينتج عن التضامن الاجتماعي ويوجد في المجتمعات البدائية وفي التنظيمات العسكرية الحديثة.[26]

---

[24] يونس الوكيلي وآخرون: مرجع سابق. ص 67

[25] جابري دلال: تقسيم العمل و التعاون بين ابن خلدون و ايميل دوركايم . مجلة العلوم الإنسانية. جامعة بسكرة. العدد 46. الجزء الرابع. مارس 2017. ص.157

انظر ايضا: ايميل دوركايم: في تقسيم العمل الاجتماعي، ت,حافظ الجمالي,، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع, بيروت,1982 .

دراسته للدين كظاهرة اجتماعية:

عرض هذه الدراسة في كتابه الصورة الأولية للحياة الدينية 1912 حاول أن يطبق تحليله للقوى الاجتماعية في الصور الأولية للدين، فدرس أحد القبائل الاستراسية قبيلة الارونتا، حيث فرق بين ما هو مقدس وما هو علماني وأعتبرها نقطة البداية في دراسة الدين:

المقدس: هو كافة الأشياء التي يحددها الإنسان ويعزلها عن غيرها نظرا لطبيعتها الخاصة مثل الطقوس والمعتقدات التي تكتسب صفة دينية.

العلماني: هو الجانب الاجتماعي الذي يضم الحياة العامة لهذه العشيرة بتجمعاتها والتي تمارس حياتها الخاصة لقضاء احتياجاتها.

توصل إلى أن الديانة الطوطمية هي أكثر صور الدين بساطة.

الديانة الطوطمية : تتمثل في حيوان أو نبات أو شيء طبيعي ، يرمز إلى قوة القبيلة من جهة والى مبدأ طوطمي مقدس من جهة أخرى .

وفي النقطة الموالية نفصل أكثر.

الدين والمجتمع عند دوركايم :

يرى دوركايم أن الضبط الاجتماعي والوجود الاجتماعي يرتكز على مفهوم الشعور الجمعي وأن المنطق يخلق ويقوى في كل مجتمع بواسطة الدين موضحا أن الدين هو الذي يمدنا بالفهم وبدونه لا نستطيع أن نفكر.

فكل الأديان انساق من الأفكار التي تعطينا فهما كاملا عن العالم , و لم يثر دوركايم أي مناقشة حول صدق الأفكار الدينية لأنه يرى أن الأفكار الدينية تعبر و تحقق الحاجات الاجتماعية و وفقا لهذا فهي لا يمكن أن تكون غير حقيقية أو غير صادقة , و تتركز معالجة دور دوركايم للدين في ثلاث جوانب أساسية هي:[27]

1.الأسس الاجتماعية للدين:

قدم دوركايم تفسيرا اجتماعيا خالصا عن طبيعة الدين و لذلك بدا بنقد النظريات الفردية و السيكولوجية التي تحاول أن تفسر ظهور المعتقدات الدينية عن طريق العوامل البيولوجية كالأحلام و الرؤيا و كذلك نقد النظرية الطبيعية التي ترجع الدين إلى عوامل الطبيعة و العوامل الكونية , و يرى دوركايم أن هذه النظريات فشلت في تقديم تفسير للدين و التفرقة بين ما هو مقدس و ما هو دنيوي .

و نظر دوركايم إلى الأفكار و الممارسات الدينية على أنها تشير و ترمز إلى الجماعة الاجتماعية , كما اعتبر المجتمع المنبع الأصلي للدين , و لذلك عرف الدين بأنه نسق موحد من المعتقدات و الممارسات التي تتصل بشئ مقدس و هذه المعتقدات و الممارسات في مجتمع أخلاق واحد و يضم كل الذين يرتبطون به.

[26] يونس الوكيلي وآخرون: مرجع سابق.ص 71.

[27] يونس الوكيلي وآخرون: مرجع سابق.ص 78

يرى دوركايم أن روح الدين في كل المجتمعات ترجع إلى التميز الصارم بين ما هو مقدس وما هو علماني ويشير المقدس إلى أي شيء عرف اجتماعيا على انه يتطلب معالجة دينية خالصة ويتكون المقدس كذلك من التصورات الجمعية التي تعبر عن الحقائق الجمعية، والأشياء المقدسة لا يمكن أن تتخذ صورة قاطعة في كل زمان ومكان لأنها تختلف باختلاف الديانات ويؤكد دوركايم على أن الأشياء المقدسة هي الدينية في مظهرها والاجتماعية في مصدرها.

فالدين يضم مجموعة من المعتقدات والممارسات في نسق شامل يحقق القداسة للأشياء المحرمة وهذه المعتقدات توجد بين الأفراد وتخلق مجتمعا أخلاقيا أي الإسهام الجمعي في المعتقدات يعتبر شريطا أساسيا لوجود الدين، كما أوضح دوركايم أن الطبيعة الملزمة للمعتقدات والممارسات الدينية وقوة الدين وارتباطه بأشكال الفكر الأساسية يرجع إلى أصله المرتبط بالمجتمع.

2.الدين في أشكاله الأولى:

حاول دوركايم أن يوضح لنا الصورة الأولى للدين في المجتمعات البدائية و كانت نتائجه مرتكزة على مادته التي جمعها عن الديانة الطوطمية في استراليا , مستندا في ذلك إلى المعالجة التطورية و هي: إذا كان مجتمع الارونتا هو ابسط المجتمعات , فالديانات الطوطمية هي ابسط و أقدم الديانات و تحوي اغلب السمات الأساسية لكل الديانات.

و يقرر دوركايم أن الديانة الطوطمية هي الصورة البسيطة للدين و فيها يعتبر الطوطم الرمز الذي تتخذه العشائر البدائية لنفسها , سواء كانت مستمدة من المملكة الحيوانية أو النباتية أو القوى الطبيعية أو الجماد , و أهم العناصر في الطوطمية أن أفراد العشيرة يعتقدون أنهم منحدرون من هذا الطوطم فهو الأصل في وجودهم , و يترتب على ذلك أن الأفراد الذين ينتمون إلى نفس الطوطم يعتبرون نفسهم أقارب و هنا القرابة لا تعتمد على قرابة الدم و إنما تقوم على وحدة معنوية

تقوم على أساس اشتراكهم في نفس العادات و التقاليد و الطقوس الدينية التي يلتزمون بأدائها نحو الطوطم و تقوم الديانة الطوطمية على أساس تقديس طوطم العشيرة تقديسا يحرم لمسه إذا كان جمادا إلا في المناسبات الدينية كما يحرم قتله أو صيده إذا كان من مملكة الحيوانات و يحرم أكله إذا كان من المملكة النباتية.

و الطوطمية ليست عبادة الحيوانات أو الجمادات أو النباتات , و إنما هي عبادة العشيرة لرمزها الجماعي الذي تعتقد انه يحوي ذلك المعنى المقدس فالاه العشيرة أو الإله الطوطمي لا يمكن إلا أن يكون العشيرة نفسها, و أن الله و الجماعة شئ واحد و يؤكد دوركايم أن حياة الجماعة هي المصدر المنشئ للدين من الأفكار و الممارسات الدينية و تشير و ترمز إلى الجماعة الاجتماعية فالرموز الدينية لا يمكن أن تشير إلى البيئة الطبيعية أو الطبيعة الإنسانية و لكنها تشير في الواقع الاجتماعي.[28]

3.دور الدين في المجتمع:

عالج دوركايم الظاهرة الدينية و حدد وظائفه و كان تركيزه منصبا على الشعائر و الأفعال أكثر من المعتقدات , و يرى دوركايم أن وظيفة الدين هي ربط الأفراد بمجتمعهم بقوة عن طريق الفهم للواقع و العلاقات الاجتماعية و الاتصال بمعنى

[28] يونس الوكيلي وآخرون: مرجع سابق 77.

اتصال الأفراد ببعضهم على أساس من المفاهيم المشتركة, حيث تتسامى الجماعة الأخلاقية التي تمارس التدين و العبادة و تشكل كنيسة.[29]

عند دوركايم الله يبدو تعاليا وتساميا على العموم روحا وعرفا وأخلاقا قبل أن يتبلور كفكرة قانونية.

يعرف دوركايم الدين في كتابه les formes élémentaire de la vie religieuse : بأنه عبارة عن نظام متسق من المعتقدات و الممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسة يجري عزلها عن الوسط الدنيوي و تحاط بشتى أنواع التحريم و هذه المعتقدات و الممارسات تجمع كل المؤمنين بها في معنوية واحدة تدعى الكنيسة.[30]

---

[29] عزمي بشارة: مرجع سابق. ص 383.

[30]. Durkheim Emile. **Les forme élémentaire de la vie religieuse** ; édition paris.puf .1960 .p 65

قائمة المراجع

1. اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية. منشورات عويدات , لبنان . AG. ط2. 2001 .
2. ايميل دوركايم:في تقسيم العمل الاجتماعي, ت, حافظ الجمالي, اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع, بيروت,1982 .
3. باروخ سبينوزا : رسالة اللاهوت و السياسة. ت حسن حنفي. دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع. 2005 . ط1.
4. بن عبد المولى نصيرة: الطقوس البدائية وعلاقتها بالممارسات الدينية المعاصرة –زيارة الأضرحة في الجزائر نموذجا. ماجيستير في الفلسفة. جامعة وهران .2012-2013.
5. جابري دلال: تقسيم العمل و التعاون بين ابن خلدون و ايميل دوركايم . مجلة العلوم الإنسانية. جامعة بسكرة. العدد 46. الجزء الرابع. مارس 2017.
6. جميل صليبا: المعجم الفلسفي. دار الكتاب اللبناني، بيروت. ج1.
7. سامية مصطفى الخشاب: علم الاجتماع الإسلامي. دار المعارف. 1981 .
8. عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. 1984. ط1.
9. عبد الله عوض العجمي: فلسفة الرموز في الأديان الشرقية التقليدية، دراسة تحليلية. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية. العدد 1.مجلد13. جوان 2016.
10. عزمي بشارة: الدين و العلمانية في سياق تاريخي , المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات, لبنان . 2013 .
11. القديس أوغستين: مدينة الله. ت يوحنا الحلو. دار دمشق. بيروت. 2007.
12. محمد احمد بيومي: علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الاسلامي. دار المعرفة الجامعية. 2002 .
13. محمد عبد الله دراز: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. دار القلم. الكويت.
14. هيجل: فلسفة الروح. ت إمام عبد الفتاح. دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت .2005. ط 3.
15. يونس الوكيلي وآخرون: الدين و المجتمع و نظرية المعرفة، قراءة معاصرة في أعمال ايميل دوركايم , الرباط.
16. Durkheim Emile. **Les forme élémentaire de la vie religieuse** ; edition paris.puf .1960

وعن طريق هذه الأشياء يتقبل الفرد الدين على انه شيء ملزم ومطلق وأشار دوركايم إلى أن مجموعة العبادات تربط الأفراد بعضهم ببعض وهذه الرابطة تمد الأفراد بالقوة والثقة.

يحقق الدين وظيفة اجتماعية، حيث هناك اعتقاد داخلي انه هناك قوة مقدسة تحمل مجموعة من الجزاءات تطبق على كل من يحاول انتهاك المقدسات وهنا يتحقق التفاعل والتضامن الاجتماعي.